تربية الحيوانات

وتطورها فى الربع قرن الأخير*

لحضرة الدكتور أحمد مبروك وكيل القسم البيطرى بوزارة الزراعة

معلوم أن مصر بلد زراعى ، يعتمد فى حياته على الزراعة ولاشك أن قوام الزراعة هو الماشية الصالحة ذات القدرة على العمل لخدمة الأرض . وقد عنيت مصر منذ أقدم العهود بتربية الماشية وبخاصة الأبقار أولا ثم استوردت الجاموس لقدرته على العمل وما تنتجه من لحم ولبن وظل المصريون يتوارثون العناية بتربية الماشية تربيــة قائمة على التجارب المحض يتوارثها الفلاحون كما كانت الحال فى الزراعة حتى أواخر القرن الماضى .

ولما أن هبت على مصر فى أواخر القرن الماضى ريح العلوم الحديثة تلقتها مصر بقلب مشوق إلى نتائجها وكانت أن أخذت فى الانتفاع بثمارها بواسطة الحكومة تارة والجمعيات والهيئات الأهلية وكبار المثقفين وذوى الرأى تارة أخرى .

وكانت الزراعة وبالتالى تربية الحيوان فى أشد الحاجة إلى ثمار هذه العلوم وبخاصة فى بلد زراعى كمصر فعملت الحكومة فى سنة ١٨٨٩ على إنشاء مدرسة الزراعة ، وتلاها جهود بعض الأفراد من المثقفين وعلى رأسهم المغفور له السلطان حسين كامل الذى يعتبر بحق أباً للفلاح ، فعملوا على إقامة المعارض الزراعية السنوية تعرض فيها أحسن أنواع المحاصيل والحيوان ، وتعطى فيها المنح والجوائز للعارضين ، وتبين سموه حاجة البلاد إلى الإكثار من الجهود القائمة على العلم والتجارب الفنية،فعمل على إنشاء الجمعية الزراعية فى سنة ١٨٩٨ التى كانت أول من استفاد بخريجى مدرسة الزراعة ، ويعتبر إنشاؤها بحق بدء النهضة الزراعية الفنية فى مصر ، وتلاها أن أنشأت الحكومة مدرسة الطب البيطرى فى سنة ١٩٠١ لما لمسته من حاجة البلاد إليها لتداركماينتاب الحيوانات من أمراض تجتاح عدداً كبيراً منها ثم أنشأ مصلحة الزراعة (وزارة الزراعة الآن) فى سنة ١٩٠٩ ، وقبل أن ندخل فى تفاصيل ما أفادته مصر من هذه المعاهد يهمنا أن نبحث أسباب تأخر التربية .

* بحث كتب لمناسبة العيد الفضى لجمعية خريجى المعاهد الزراعية .

أسباب تأخر التربية : ولقد كان من أهم عوامل التأخر فى تربية الحيوان هو الأمراض الوبائية التى كانت تنتاب المواشى وأخطرها على القطر المصرى هو الطاعون البقرى الذى كان ينتابها فى مدد تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة وكلما تأصل نوع منها أتت عليه الأمراض الفتاكة التى كان يقف أمامها الطب البيطرى ، الذى عنيت به مصر منذ محمد على الكبير عاجزاً ومن ثم تلتجىء البلاد إلى استيراد حيوانات من الخارج كالشام وقبرص وتركيا والعراق والسودان لم تكتسب الصفات التى امتازت بها حيوانات القطر المصرى من القدرة على العمل وإدرار اللبن وإنتاج اللحوم الجيدة والمناعة ضد الأمراض المتوطنة .

وقد انتابت البلاد موجة من هذا الوباء فى سنة ١٩٠٣ فأتت على عدد كبير من الأبقار والجاموس كما هو ظاهر من التعداد إذ كان فى سنة ١٩٠٣ : ٩٥٩ ألف رأس من الأبقار و٧١٨ ألف رأس من الجاموس فهبط فى سنة ١٩٠٤ إلى ٦٠٥ آلاف من البقر و٦٤٥ ألف رأس من الجاموس .

ولقد كانت الأوبئة قبل هذا التاريخ لاتبقى على أكثر من ٢٠٪ من مواشى القطر ولكنها فى هذه المرة أبقت فيها على نحـــو ٦٦٪ بفضل المقاومة التى كانت بدأت تنتظم عقب إنشاء مدرسة الطب البيطرى ، بيد أن هذه المقاومة لم تقطع دابر المرض بسبب أن عدداً من الحيوانات التى أنقذتها لم يكتسب المناعة الدائمة ، ولذلك ظل المرض يظهر فى القطر كل بضع سنين حتى هبط تعداد مواشى القطر فى سنة ١٩١٦ إلى ٤٩٢ ألفاً من البقر و٥١٥ ألفاً من الجاموس ، أى نصف تعداد الأبقار فى سنة ١٩٠٣ ونحو الثلث من الجاموس ، وظل يتناوح بين ارتفاع وانخفاض حتى وفق القسم البيطرى إلى طريقة التطعيم المضاعف الذى يكسب الحيوانات مناعة دائمة وبفضلها أخذ عدد المواشى فى الارتفاع المطرد من عام إلى عام حتى بلغ عدد الأبقار فى سنة ١٩٣٧ : ٩٨٣ ألف رأس وعدد الجاموس ٩٥٦ ألف رأس .

وهناك أيضاً الأمراض المتوطنة كالتسمم الدموى والملاريا والحمى القلاعية والديدان وغيرها من الأمراض .

ومن حسن الحظ أن استطاع القسم البيطرى إيجاد لقاح فعال لعلاج التسمم الدموى أيضاً ، وكان نصيبه النجاح إلى حد كبير فى كفاح هـذا المرض . وإلى مقاومة هـذه

الأمراض يرجع فضل التقــدم فى التربية خلال هــذا الربع قرن الأخير كما يتضح من الجـدول الآتى :

السنة	أبقار	جاموس	السنة	أبقار	جاموس
١٩٠٣	٩٥٩٦٦٩	٧١٨٠٢٣	١٩٢٥	٩٧٦٩٩١	٧٢٠٨٤٣
١٩٠٥	٦٥٥١٥٦	٧٠٨٢٣٣	١٩٣٠	٧٧٦٠٠٨	٧٩٥٥٤٦
١٩١٠	٧٦٢٠٩١	٧٦٥٣٩٢	١٩٣٥	٩٥٣٠٧٥	٨٩٩٠٠١
١٩١٥	٥٥٣٦٣٢	٥٣٨١٠٩	١٩٣٦	٩٩٤٩٢٥	٩٣٢٢٣٧
١٩٢٠	٥٦١٥١٥	٥٨٥٣٠٩	١٩٣٧	٩٨٣٢١٩	٩٥٦٠٤٠

وبمقارنة تعداد سنة ١٩٣٧ بتعداد سنة ١٩٣٦ وجدت الزيادة الآتية :ـــ

١٩٣٧	٩٨٣٢١٩	٩٥٦٠٤٠
١٩٣٦	٧٠١٧٣٨	٧٥٣١٣٤
	٢٨١٤٨١	٢٠٢٩٠٦

ولما كان آخر إحصاء للماشـية والأغنام هو عن سنة ١٩٣٧ ولما كانت الزيادة فى تعدادها عن متوسط العشر السنوات هى ١٢٣٨٧٩ فى الأبقار و١١١٦٠٦ فى الجاموس. فلو فرضنا أن نسبة الزيادة فى السنوات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ هى نفس الزيادة فى سنة ١٩٣٧ لحصلنا على زيادة فى الماشية فى الثلاث السنوات المذكورة كالآتى :ـــ

أبقار	جاموس
٣٧١٦٢٧	٣٣٤٨١٨

ويتبين من هــذا الإحصاء أن هناك تقدماً محسوساً فى التربية من حيث العدد ، والعدد فحسب ، ولـكن هل يكفى هذا العدد حاجة الشعب من اللحوم والألبان ومنتجاتها ؟ لا شك أنه دون الحاجة بكثير ، ولولا خوف الإطالة لأوردت لك بيانات بما يخص الفرد الواحد فى الممالك المختلفة تتبين منها أن أمامنا فى هذه السبيل آماداً بعيدة يجب أن نقطعها ، وجهوداً كبيرة لتدارك صحة السكان فى موافاتهم بهذه الأغذية يجب أن نبذلها ، وإنه لمن المحزن أن نجد من يصلحون للخدمة العسكرية عندنا سنوياً قليل جداً بالنسبة للسكان ،

فضلا عن أن الباقين تنهكهم الأمراض المختلفة التى تضعف من قوتهم وتقلل من إنتاجهم لعدم كفاية الأغذية التى تعطيهم المناعة الكافية ضدها .

وليست الأمراض وحدها هى كل ما يعترض تقدم التربية فى مصر نوعاً وعدداً بل هناك أسباب أخرى أهمها :

١ — تضييق مساحة الأراضى الزراعية إلى حد يجعل نفقات التربية باهظة .

٢ — عدم وجود مراع طبيعية كما هو فى البلاد الأخرى مما يجعل التربية تعود بشىء من الربح .

٣ — انتشار زراعة القطن وارتفاع أثمانه عن المحاصيل الأخرى والمراعى وتصدير بذوره إلى الخارج وكانت البلاد تنتج منها قبل الحرب نحو ٦ ملايين أردب لو أكلتها المواشى لأعطت البلاد نحو مائتى مليون رطل من اللحم يبلغ ثمنها نحو خمسة ملايين جنيه سنوياً على الأقل ، فضلا عن أن عناصرها المأخوذة من الأرض ستعود إليها سماداً طبيعياً بعد تحللها فى بطون الحيوانات مما يزيد خصبها ويجدد فتوتها .

وهذه الأسباب وإن تكن لها خطورتها وتحد من نشاط التوسع فى التربية ، سواء فى العدد أو فى النوع ، إلا أن الأمل كبير فى تدارك بعضها إذا تمشت حركة استصلاح الأراضى بالسرعة المطردة فى زيادة السكان مع منع تصدير بذور القطن ومنتجاتها من كسب وزيت وكذلك الردة ورجيع الكون وبالجملة كل أنواع العلف .

تحسين النوع : بينا فيما سبق أسباب تأخر التربية ومدى تطورها فى الزيادة العددية فى الخمسة والعشرين سنة الأخيرة .

ومن الطبيعى أن نوع الحيوان وصفاته ومقدرته على العمل والإنتاج لها أهمية كبرى فى اقتنائه ، إذ أن ماشية تعطى ثلاثين رطلا من اللبن فى اليوم خير من ماشية تعطى عشرة أرطال وماشية تعطى أربعة قناطير من اللحم خير من التى تعطى قنطارين وهذه مزايا فطن لها الزراع من قديم كما فطن لها القائمون على شؤون التربية منذ أوائل هذا القرن وبذلت عدة محاولات لإيجاد سلالات تجمع هذه الصفات أو أكثرها قامت بها مدرسة الزراعة والجمعية الزراعية ووزارة الزراعة . وفى سبيل ذلك جربت عدة طرق

فنية ، فاستوردت عدة أنواع من الخارج للتربية فى مصر بقصد إيجاد عتر أصيلة كالأبردين أنجص والشورت هورن الإنجليزى والشارولى الفرنساوى لما تمتاز به من كثرة اللحوم والنوع الفرزيان الهولندى لما يمتاز به من كثرة الألبان وأنواع أخرى كالجاروني والسمنتال والجرس والسويسرى البرن . ولكن بكل أسف لم تنجح كل هذه الأنواع لأسباب فنية لا متسع لشرحها فى هذا المقام ، وإنما رأينا أن نورد شيئاً عن أسباب عدم نجاح تربية أنواع الأغنام المارينوس التى استوردت لإنتاج الصوف فى القطر المصرى على سبيل المثال .

تربية الأغنام المارينوس

فكرت الجمعية الزراعية فى تحسين نوع الصوف المصرى من حيث النعومة . فاستوردت بعض الأغنام المارينوس من جنوب إفريقيا وربتها فى بهتيم وطبقت الطريقة التى كان يتبعها المغفور له صاحب السمو الأمير كمال الدين حسين فى اقتناء نوع آخر من المارينوس فى صفط خالد فكانت النتيجة غير مرضية ، إذ أن هذه الأغنام لم تحتمل الحرارة وكان لبنها قليل جداً يندر أن يكفى نتاجها وقد مات كثير من النتاج جوعا كما أن لحمها ردىء النوع قليل الكمية .

وقد أخذ وزن الأنواع الآتية من الأغنام فى سن واحدة ومرباه تحت ظروف مماثلة :

الرحمانى	٨٦
الأوسيمى	٨٠
الشرقاوى	٧٢
البرقى	٥٦
المارينوس	٤٢

ومن هذا يتضح أن قيمة اللحم فى المارينوس قليلة جداً وصوفه لم يحتفظ بمميزاته ولو أنه نجح فإنه لا توجد له فى مصر مغازل فضلا عن أن بلادنا تحتاج للحم أكثر من احتياجها للصوف . وقد اضطررنا إلى إرسال كميات من هذا الصوف إلى انجلترا وألمانيا فلم تلق رواجا وكان صافى الثمن للرطل الواحد ٢٥ مليما أى مثل ثمن الصوف البلدى.

وفى هذه السنة بعنا مائة وتسعين كيلو من الصوف المارينوس إلى معمل الطرابيش بسعر ٦ قروش صاغ الكيلو أى بثمن أعلى قليلا عن ثمن الصوف البلدى ولكن للأسف

فإن العمل لم يستفد منه ولا يزال موجود عنده بأمل إمكان إجراء تجارب عليه في المستقبل عند استحضار الآلات اللازمة لذلك .

ومن رأيي أنه لا يمكن انتظار أي فائدة للقطر من تربية المارينوس على حين أنه مورث هام يدر النضار على أوستراليا وجنوب إفريقيا وبلاد أخرى . حيث أن المراعى لا تكلفهم شيئاً .

من ذلك يتضح أن الصوف المارينوس الناتج في مصر يباع بأثمان ضئيلة لتأثره بالحرارة وتشبعه بتراب مصر بخلاف الصوف في استراليا حيث يكون حسن التيلة و نظيف وقد جربت تهجين المارينوس مع البلدى فتغلبت صفات الصوف البلدى على صفات الصوف المارينوس والمظنون أنه بتوالى التوليد من المارينوس لأجيال كثيرة يفقد كل خصائصه . وقد أجمع المؤرخون على أن النوع المسمى أوسيمى هو من نتاج أغنام مارينوس كان قد أدخلها إلى القطر المصرى المغفور له محمد على باشا ، ولكنى أشك في ذلك .

كما أجريت أيضاً تجارب على التهجين من أنواع القر المستوردة لمختلف المواشى وبين الأنواع المصرية بقصد تحسين النوع فلم تفلح أيضاً . فاستقر الرأى أخيراً على أن أمثل الطرق هو الانتخاب من الأنواع المصرية نفسها والإكثار منها والعمل على منع أسباب التقهقر التي يعد في مقدمتها قلة الغذاء وفتك الأمراض .

ومن حسن الحظ أن الجمعية الزراعية اختطت هــذه الخطة منذ إنشاء قسم تربية الحيوانات بها في سنة ١٩٠٨ فربت عندها أحسن عتر الجاموس والأبقار البلدية ، ولكن مما يؤسف له أن أثرها لم يظهر جلياً نظراً لقلة عدده ، وقد أخذت وزارة الزراعة أخيراً بنفس هذه النظرية وانتخبت عدداً كبيراً من الجاموس لإيجاد سلالات على نطاق واسع لتكون في متناول الجميع .

هذا عن الأبقار والجاموس والأغنام وقد توسعنا في الكلام عليها بعض الشيء لأهميتها للزراعة والفلاح . على أن ذلك ليس معناه إهمال باقى الأنواع من حمير ودواجن فإن نفس الخطى التي اتخــذت لتحسين أنواع الأبقار والجاموس اتخذت معها أيضــاً فاستوردت أنواع كثيرة منها المارينوس واليورك شاير وخــلافه وأجرى التهجين بينهــا وبين الأنواع المصرية، وما أسفرت عنه تجارب المواشى الأجنبية من عدم النجاح في مصر هو الذى أسفرت عنــه تجارب الأغنام والطيور ولم تفلح سوى طريقة تحسين الأنواع المصرية نفسها .

وننتقل الآن خطوة أخرى لنتحدث عن تربية الخيول وهى تستحق أن يفرد لها بحث خاص ، بل كتاب خاص فنقول : —

تربية الخيول

عرفت مصر تربيــة الخيول منذ بعيد ، وكان لها فيها شــأن كبير ، سواء مصر الفرعونية أو مصر الإسلاميــة ، وكانت تربيتها كتربية الحيوانات تتراوح بين النهوض والركود وإن كانت الخيل بصفة خاصة مرت عليها عصور ذهبية لدى حــكام مصر من السلاطين والأمراء وبخاصة فى عصور المماليك إذ اشتهروا بالفروسية وفنون الحرب وكانت عدتهم فى ذلك هى الخيول التى بالغوا فى العناية بها والتأنق فى سرجها ولجمها يحلونها بالذهب والفضة حتى يصل ثمن السرج آلاف الجنيهات، ثم أخذت فى الانحطاط والتدهور تبعاً للظروف العامة التى ألمت بمصر فى أواخر حكم المماليك .

وأخيراً جاء عصر المصلح العظيم محمد على باشا رأس الأسرة المالكة فعمل على إنهاضها أسوة بما اتبعه فى كل مرافق مصر ، وكان أن استورد كثيراً من الخيول من مختلف البلاد سواء البلاد العربية أو غيرها بقصد تحسين السلالات الموجودة لتكفى حاجة جيوشه التى كانت لا تفتأ ترجع من غزو حتى تعود إلى آخر ، كما وجـه عناية كبرى إلى الطب البيطرى وأنشأ له مدرسة تحت رئاسة الدكتور هامون وأوفد كثيراً من الأطباء لدراسته فى الخارج وأنشأ للخيل اسطبلات كبيرة فى شبرا وغيرها إلا أن كل ذلك مع الأسف لم يجد كثيراً بسبب جهل المربين الذين كانت تسند إليهم أعمال التربية والقيام على العناية بالخيل ، وهــذه المحاولات التى بدأ بها محمد على باشا — وإن لم تعد بفائدة كبيرة — إلا أنها خطوات مهدت السبيل لأخرى أوسع منها تمت على يدى خلفه والى مصر عباس باشا الأول الذى اشتهر بأنه أكبر مروض للخيول . .

ذلك أن سموه عنــد ما انتصر على الوهابيين فى الحملة المصرية التى كان يقودها على بلادهم استحوز على أحسن أنواع الخيل الموجودة عندهم ثم بالشراء تارة والإهداء تارة أخرى ، فاستورد عــدداً من أجود الأنواع النجدية المضمونة النسب ، وبذل فى سبيل الحصول عليها أموالا طائلة وأنشأ لها اسطبلات عظيمة فى الدار البيضــاء ماتزال آثارها باقية فى طريق السويس إلى الآن ، وأقام على تربيتها رجلا خبيراً هو المرحوم على باشا اللالا

الذى رحل إلى بلاد العرب أكثر من عشرين مرة واشترى لسمو الأمير خيولا تعتبر خير الأنواع العربيـة فى العالم ، ووضع فى إنشائها كتابا لا يزال مخطوطاً حصل عليـه الهاوى المعروف عبد العزيز بك رحمى وأهداه الجمعية الزراعية ، وكان أن تحقق ظنه فى هذه الخيول واحتفاظها بخصائصها الطبيعية حتى تسلم أكثرها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على الذى يعتبر من أكبر خبراء الخيل وكذلك المرحوم أحمد كمال باشا والمغفور له على باشا شريف والمستر بلانت وغيرهم وإليهم يرجع الفضل فى الاحتفاظ بما يوجد الآن من أصايل الخيول .

وقد تنبهت الحكومة إلى مايهدد الخيل من خطر الانقراض فأنشأت فى سنة ١٨٩٨ قومسيون الخيول برئاسة حضرة صاحب السـمو الأمير عمر طوسون وقد بذل هذا القومسيون بعض المحاولات لتوزيع خيول الطلوقة على الأقاليم لتحسين النوع وإقامة المعارض الإقليمية وغير ذلك .

وفى سـنة ١٩٠٨ ضم هذا القومسيون إلى الجمعية الزراعية الملكية (الخديوية إذ ذاك) وقد تسلمت عدداً من الخيول العربية والإنجليزية التى كان يتمسك بالتشبيب منها على الأفراس العربية بعض الاختصاصيين بقصد تحسين النوع إذ لم تستطع الحكومة الحصول على الخيول العربية الكافية للطلوقة منها .

واضطرت الجمعية إلى الأخذ بهذا الرأى ، برغم المعارضة فيـه من بعض الخبراء ، بحجة أن نتاج هذه الخيول هو الذى يصلح للبوليس واشـترت الجمعية خيولا انجليزية كثيرة لهذا الغرض ، بيد أنها عملت فى الوقت نفسه على الحصول على خيول عربية أصيلة وقد نجحت فى الحصول على بعض أفراس وخيـول من سمو الأمير محمد على وعلى باشا شريف والمسـتر بلانت وعملت على المحافظة التامة عليها والإكثار منها ، وقد نجحت فى ذلك نجاحاً كبيراً حيث أوجـدت عدداً باعت بعضه كبار الغواة ولفت بجمـاله الأنظار مما حفز المربين على الإقبال عليها مما اضطر الجمعية إلى إلغاء التهجين من الخيول الانجليزية .

وقد خطت الجمعية فى تحقيق هذه الرغبة خطوات واسعة بالوسائل الآتيـة :

١ — وزعت خيول الطلوقة على عدة مراكز فى القطر أخذت تتزايد عاماً بعد عام حتى أوشكت أن تعمه الآن .

٢ — جعلت رسوم الوثب زهيدة جداً .

٣ — أخذت تسجل الوثبات وتاريخها وتمنح المنتجين شهادات كان لها تقديرها عند تحديد الثمن مما رغب المربين فى التربية وكان الإحراز نتاج خيولها على أكثر الجوائز التى تمنح كل عام فى المعارض الإقليمية أثر فعال فى زيادة الإقبال على التربية .

٤ — عملت على توسيع نطاق الإكثار وأفردت لخيول الطلوقة اسطبلات خاصة فى كفر فاروق .

٥ — أقامت المعارض الزراعية وعملت على نشر وسائل التربية الفنية بين المربين وأمدتهم بالإرشادات النافعة .

ويعتبر ما قامت به الجمعية فى تربية الخيــول أضخم مجهود قامت به هيئة إلى الآن حيث أنفقت فى هذا السبيل عشرات الألوف من الجنيهات ولا شك أن النتيجة العظيمة التى حصلت عليها فى هذه الناحية لاتقدر بمال ، إذ أصبحت هى القوامة على شؤون الخيل ولديها أكبر وأجمل مجموعة منها فى العالم حتى أن كثيراً من البلاد الشرقية والأوروبية أخذت عتراً من خيولها لتحسين النتاج فيها .

ولاريب أن أثر التربية الفنية فى الخيل فى هذا الربع قرن كان ملموساً بسبب قلة العدد . أما فى النواحى الأخرى فانها تحتاج إلى مواصلة الجهود كما بينا من قبل . حقق الله الآمال .